

Journal of Arabic Research

EISSN: 2664-5807, pISSN: 2664-5815

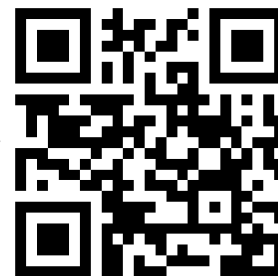
Publisher: Allama Iqbal Open University, Islamabad

Journal Website: <https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar>

Vol.09 Issue: 01 (Jan-June 2026)

Date of Publication: 19-04-2026

HEC Category: Y



<https://ojs.aiou.edu.pk/index.php/jar>

Article	<p>الحكمة والزهد والموعظة في كلام الإمام علي عند أدباء العصر العباسي: دراسة موضوعية في الكتب الأربعة</p> <p>Wisdom, Asceticism, and Exhortation in the Words of Imam Ali According to Abbasid-Era Litterateurs: A Thematic Study of the Four Books</p>		
Authors & Affiliations	<p>Ahmad Raza Chandio PhD Scholar, Department of Arabic, Bahauddin Zakariya University, Multan</p> <p>Dr. Hafiz Muhammad Sarwar Associate Professor, Department of Arabic, Bahauddin Zakariya University, Multan</p>		
Dates	<p>Received: 03-05-2026 Accepted: 14-05-2026 Published: 19-05-2026</p>		
Citation	<p>الحكمة والزهد والموعظة في كلام الإمام علي عند أدباء العصر العباسي: دراسة موضوعية في الكتب الأربعة</p> <p>[online] IRI – Islamic Research Index – Allama Iqbal Open University, Islamabad. Available at: <https://jar.aiou.edu.pk/?p=74722> [Accessed June 2026].</p>		
Copyright Information	<p>الحكمة والزهد والموعظة في كلام الإمام علي عند أدباء العصر العباسي: دراسة موضوعية في الكتب الأربعة</p> <p>2026@ by Ahmad Raza Chandio, Dr. Hafiz Muhammad Sarwar is licensed under Attribution–Share Alike 4.0 International</p>		
Publisher Information	<p>Department of Arabic, Faculty of Arabic & Islamic Studies, Allama Iqbal Open University, Islamabad</p>		
Indexing & Abstracting Agencies			
<p>IRI</p> 	<p>Australian Islamic Library</p> 	<p>HJRS</p> 	<p>DRJI</p> 

ABSTRACT

Notwithstanding the fact that the discourse of Imam Ali encompasses a multitude of profound themes, each of which could constitute an independent subject of scholarly inquiry, the present study undertakes an examination of three selected themes drawn from his discourse, namely: wisdom (al-ḥikmah), asceticism (al-zuhd), and exhortation (al-maw‘īzah, i.e., moral counsel). Furthermore, the study elucidates the extent to which these specific thematic strands, derived from the discourse of Imam Ali, exerted a discernible influence upon the literary figures of the Abbasid era and their four celebrated Arabic compendia, along with their respective authors. The investigation is circumscribed to four seminal works: al-Bayān wa-al-Tabyīn by al-Jāhīz, Adab al-Kātib by Ibn Qutaybah, al-Kāmil fī al-Lughah wa-al-Adab by al-Mubarrad, and al-Nawādir by Abū ‘Alī al-Qālī. The study adopts the thematic (mawḍū‘ī) and analytical (taḥlīlī) methodologies, supplemented by the comparative (muqāran) approach, and endeavours thereby to demonstrate that the litterateurs of the Abbasid period appropriated the discourse of Imam Ali as a singularly significant literary and intellectual reservoir. The scholarly focus is concentrated upon three thematic axes: wisdom, asceticism, and moral exhortation. The findings of the study reveal the profound impact of Imam Ali's discourse upon the rhetorical architecture and intellectual framework of Arabic prose during the Abbasid era, inasmuch as this discourse was not merely employed in the literary works for purposes of ornamentation or religious veneration (tabarruk), but was rather embraced as a normative criterion for argumentation, moral edification, and rhetorical excellence.

Keywords: الإمام علي، الحكمة، الزهد، الموعظة، الأدب العباسي، البيان والتبيين، أدب الكاتب، الكامل، النوادر، دراسة موضوعية، بلاغة.

تعريف الموضوع

حين ندرس تاريخ الأدب والفكر، نصادف شخصياتٍ لم يقتصر تأثير كلامها على إنارة عصرها وتنظيمه فحسب، بل ظلَّ كلامها على مرِّ القرون يُشكِّل المصدر الأساسي للأدب والفكر والبلاغة. ومن هذه الشخصيات الإمام علي بن أبي طالب، الذي وصف أدباء العرب وفصحاؤها وبلغوها كلامه بأنه ”دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين“ (١) (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩، ص ٢٤).

يتناول هذا البحث موضوعاً بالغ الأهمية، وهو: كيف استخدم أدباء العصر العباسي، الذي يُعدُّ العصر الذهبي للأدب العربي، كلام الإمام علي في مؤلفاتهم الأدبية ومجموعاتهم، وأيِّ مكانةٍ منحوه إياه، لا سيما فيما يتعلق بالحكمة والزهد والموعظة (النصيحة).

يُمثِّل العصر العباسي منعطفاً ثورياً في تاريخ الأدب العربي. فقد كان عصرَ النهضة العلمية، وحركة الترجمة، والاتساع الفكري. ذلك أن أدباء ذلك العصر لم يكتفوا بالكتابة، بل أرادوا أن يُرَبِّتُوا كتاباتهم بالعلم والعقل والفلسفة والأخلاق. ومن ثمَّ بلغ النثر العربي ذروة كماله، وظهرت فيه فنونٌ ثرية جديدة، مثل: الموسوعات الأدبية (الموسوعات الأدبية)، والرسائل، والمقامات. وهكذا شهد النثر ثورةً كبرى.

وكانت أبرز سمات ذلك العصر أن الأدباء شرعوا في جمع التراث الأدبي والفكري وحفظه. فبعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لم يكن هناك كلامٌ أسبقٌ وأثقى وأوثق من كلام الصحابة، ولا سيما كلام الإمام علي. وقد غدا كلام الإمام علي، الذي اشتهر بفصاحته وحكمته، جزءاً لا يتجزأ من المجموعات الأدبية. فقد تضمَّنت خطبُه ووصاياَه وحكمُه كلَّ شيء. وكان أسلوبه سجعاً موزوناً بلا تكلف، يجمع بين عمق الفلسفة وسحر اللغة. ولذلك اتخذ كبار النقاد، كالجاحظ، من كلام الإمام علي روحَ كتبهم. ويكتب المحقق البارز شوقي ضيف:

” إن النثر العباسي قد اغتذى بنماذج الفصاحة والبلاغة التي ورثها عن صدر الإسلام وعصر بني أمية، وفي مقدمتها كتاب الله وحديث رسوله، وما أثر عن الخلفاء الراشدين وخاصة علي بن أبي طالب، الذي يمثل قمة الفصاحة النثرية في ذلك العصر“ (٢) (ضيف، ١٩٦٦، ص ٤٨٥).

ويتبيَّن من كلام شوقي ضيف أن النثر العباسي ارتوى من منابع الفصاحة والبلاغة التي ورثها من صدر الإسلام والعصر الأموي. وكانت أبرز هذه المنابع: كتاب الله (القرآن الكريم)، وحديث رسول الله ﷺ، وأقوال الخلفاء الراشدين، وفي مقدمتهم كلام علي بن أبي طالب، الذي يُمثِّل قمة الفصاحة النثرية في ذلك العصر.

التعريف بكلام الإمام علي

كلام الامام علي بحر لا ينضب من الفصاحة والبلاغة والحكمة ، و شخصيته لهي المنارة الشامخة في العلم والمعرفة والشجاعة والروحانية، التي ما فتئت البشرية جمعاء تستنيرُ بمبادئها على مَرِّ القرون. فلم يكن رضي الله عنه مجرّد قائدٍ عسكريٍّ عظيمٍ وحاكِمٍ عادلٍ فحسب، بل إنّه في تاريخ اللغة العربية وآدابها يُعدُّ إمامَ الفصاحة والبلاغة بلا منازع. وكلامه، الذي يتألّف من حُطَبٍ ورسائلٍ ووصايا وحِكَمٍ سائرة، يُمثّل تحفةً أدبيةً لم يبلغْ كلامٌ بشريٍّ مثيلها قطُّ. وقد قيل في منزلته العلمية والأدبية: إنّ كلامه دونَ كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين.

إنّ أبرزَ ما يُميّزُ كلامَ الامام علي هو فصاحته وبلاغته. فحين كان يتكلّم، كان اختياره للألفاظ من الرِقّة والتأثير بحيث يُسحر السامعون. وكان في بيانه من السلاسة والوضوح والحماسة ما يجعل أعقد المسائل العلمية والفلسفية تستقرُّ في أذهان العامة بيسرٍ وسهولة. وهو يُمثّل لأئمة اللغة والأدب نبع الهداية، إذ إنّ استخدامه للتشبيهات والاستعارات والمحاسن البيانية يبدو كتنيارٍ طبيعيٍّ لا يحتاج إلى تكلفٍ أو اصطناع. إنّ معظمَ ما أثر عنه من أقوالٍ وحُطَبٍ يدور حول حقائق الحياة الإنسانية والقيم الأخلاقية والنقاء الروحي. فقد بيّن الامام تقليباً الدنيا والاستعدادَ للآخرة وتركبة النفس وصلة الإنسان بالله تعالى بأسلوبٍ يمنح الروح حياةً جديدة. وحكّمه السائرة لا تزال حتى اليوم مبادئ مهتدى بها لحياة الإنسانية. فهو قد أرسى قواعدَ ضبط النفس، وأعلن صوتَه في وجه الظلم، وأكّد على إقامة العدل ونُصرة المظلوم بكلِّ حزمٍ وصرامة. وفي كلامه يتجلّى دراسة عميقة للنفس البشرية.

اعلم ان كلام الامام علي لا يقتصر على البلاغ الديني، بل يتضمّن مبادئ شاملة لإدارة الدولة وإقامة العدالة الاجتماعية وصون حقوق العامة، وهي مبادئ تظلُّ منارةً تُضيء الدربَ حتى للأنظمة الديمقراطية والقانونية في العصر الحديث. ففي رسائله إلى وُلّاته وعمّاله، أرسى قواعدَ حقوق الرعية والأمانة والشفافية المالية والتواضع، وهو ما يُشكّل دستورَ عملٍ خالدًا لحكّام العالم أجمعين. وقد أوضح الامام أنّ الغاية الأسمى للحكم هي القضاء على الظلم وإيصال كلِّ ذي حقٍّ إلى حَقِّه.

ينقسم كلام الإمام علي إلى ثلاثة أقسام: الخطب، والرسائل (الكتب)، والكلمات القصار (الحكم الموجزة). ويُعدُّ كتاب ”نهج البلاغة“، الذي جمعه الشريف الرضي (المتوفى سنة ٤٠٦هـ) المرجع الأساسي لهذا الكلام، غير أن كلام الإمام علي كان قد انتشر في المجموعات الأدبية العباسية قبل ذلك بزمان طويل.

يكتب ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه الشهير:

”وأما الفصاحة: فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة“ (٣) (ابن أبي الحديد، ١٩٥٩، ص ٢٤).

خلاصة الكلام إنَّ كلامَ الامامِ على ليس مجردَ تجميعٍ للألفاظ، بل هو منشورٌ جامعٌ يضمُّ العلمَ والعرفانَ والسياسةَ وعلمَ الاجتماعِ والأخلاقَ والتصوُّف. فكلُّ لفظَةٍ من لفظاته تحمل في طياتها معاني عميقةً وقوةً بالغة. وعلى مرِّ القرون، لم يطرأ على كلامه أدنى تراجعٍ في طراوته أو أهميته أو تأثيره. إنَّ هذا الكلامَ يمتلك القدرةَ الكاملةَ على انتشال البشرية من ظلماتها وقيادتها نحو النور، وسيظلُّ بإذن الله مصدرَ هدايةٍ عظيمٍ لطالبي العلم ما دامت الدنيا.

أما من حيث فصاحته، فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وقد قيل في كلامه إنه ”دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين“، ومن كلامه تعلَّم الناس الخطابة والكتابة.

التعريف الموجز بالكتب الأربعة ومصنفيها

أ. كتاب ”البيان والتبيين“ للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥هـ)

يُعَدُّ هذا الكتاب المصدر الأكبر والأهم والأساسي في البلاغة العربية والخطابة والنقد الأدبي. ومؤلفه أبو عثمان عمرو بن بحر، المشهور بالجاحظ، وهو معتزلي متكلم وأديب عظيم. وقد جمع في كتابه نماذج من الخطابة العربية والفصاحة والبلاغة، وتضمَّن الكتاب أقوالاً وحكماً كثيرة للإمام علي، قدَّمها الجاحظ بوصفها أعلى نماذج الفصاحة وجعلها المثل الأعلى له.

ب. كتاب ”أدب الكاتب“ لابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ)

يشتمل هذا الكتاب على الآداب النظرية والأخلاقية واللغوية التي ينبغي أن يتحلَّى بها كلُّ من يرغب في الأدب والكتابة. ومؤلفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وهو أديب كبير ونحوي ومحدِّث. وقد بيَّن في كتابه أصول اللغة والكتابة والأدب، التي يمكن أن تُسمَّى الثقافة الضرورية للكاتب في العصر الحديث. وإلى جانب ذلك، قدَّم ابن قتيبة كلمات الإمام علي (جمالاً) بوصفها نماذج يُتخذى بها.

ج. كتاب ”الكامل في اللغة والأدب“ للمبرِّد (المتوفى سنة ٢٨٥هـ)

يُعَدُّ هذا الكتاب مرجعاً موثوقاً في الأدب واللغة والنحو، وهو من تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد، إمام مدرسة البصرة النحوية. وقد جمع في كتابه كنزاً واسعاً من الأدب (شعر، وأمثال، وأقوال، وخطب)، والنحو، والتاريخ، والأخبار. وهو ليس كتابَ قواعد وأصول فحسب، بل يُوضِّح فيه تاريخ العرب وثقافتهم وفصاحتهم وبلاغتهم. ويتضمَّن الكتاب خطب الإمام علي وحكمه ومواعظه (نصائحه).

د. كتاب ”النوادر/الأمالي“ لأبي علي القالي (المتوفى سنة ٣٥٦هـ)

يُعَدُّ هذا الكتاب من أروع كتب الأدب واللغة العربية، وهو يشتمل على الألفاظ النادرة والغريبة في اللغة العربية، ومعانيها، وتفصيل لغات القبائل المختلفة. ومؤلفه أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، وهو بغدادي

الأصل انتقل إلى الأندلس ونشر فيها الأدب العربي. ويُعدُّ هذا الكتاب مرجعاً موثوقاً وجامعاً بفضل شموليته في اللغات العربية والأشعار وأخبار الثقافات العربية القديمة. وقد جُمع فيه النوادر والوقائع المشهورة والنفيسة، والأقوال، والشعر، والقصص، أي المادة الأدبية بأسرها. ويتضمَّن الكتاب كلمات الإمام علي وخطبه من حيث الحكمة والموعظة.

يُمثِّل العصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ) العصرَ الذهبي في التاريخ الإسلامي الذي بلغت فيه العلوم والآداب والفلسفة وحركات الترجمة ذروتها. وقد شهد هذا العصر انتشارَ "الكتابة المنتظمة" و"المجموعات الأدبية" (Anthologies) فقبل ذلك العصر، كان العلم يُحفظ شفهاً أو في مذكرات متفرقة، غير أن توافر الورق وقيام بيت الحكمة أضفيا على الذخيرة العلمية شكلاً كتابياً منظماً. وكان العصر العباسي عصرَ النهضة العلمية والأدبية التي انتشرت فيها المجموعات الأدبية، وسُيقت فيها حكمة الإمام علي وفصاحته بوصفها نماذج يُتخذى بها. والكتب الأربعة المذكورة أعلاه من أهم مصادر ذلك العصر، وتؤدي دوراً محورياً في حفظ كلام الإمام علي. وتُظهر الشواهد التاريخية أن الحركة الأدبية في العصر العباسي كانت ناقصةً دون تدوين كلام الإمام علي. فقد تجاوز أدباء ذلك العصر الاعتبارات المذهبية، واتخذوا من خطب مولا علي، على أسس علمية ولغوية وأخلاقية وفصاحة بحتة، حُسِّن كتبهم الخالدة التي لا تزال تُعدُّ أعمدة الأدب العربي حتى اليوم.

وعلى الرغم من أن بعض المحققين يعتبرون كتاب "نحج البلاغة" للسيد الرضي (المتوفى سنة ٤٠٠هـ تقريباً) وكتاب "شرح نحج البلاغة" لابن أبي الحديد المعتزلي من المصادر الكبرى لذلك العصر، فإن الكتب الأربعة المذكورة أعلاه تظلُّ أهمَّ الوسائل لنقل كلام الإمام علي من المجموعات المتفرقة إلى صيغة كتابية منظمة في تاريخ الأدب.

تعريف الحكمة والزهد والموعظة في كلام الإمام علي وشرحها

الحكمة

المعنى اللغوي

يقوم المعنى اللغوي لكلمة "حكمة" على الجذر "حَكَمَ". ويكتب ابن منظور، إمام اللغة العربية، في كتابه الشهير "لسان العرب":

"الحكمة: ما أحاط بحنك الدابة، سميت بذلك لأنها تمنعها من الجري الشديد وتكبحها. والحكمة مشتقة من ذلك لأنها تمنع صاحبها من الجهل وتهديه إلى الصواب" (٤) (ابن المنظور، ٢٠٠٤، المجلد- ١٢، ص- ١٤٠).

وقد أوضح ابن منظور في العبارة السابقة معنى "الحكمة" (وهي اللجام الذي يُحيط بحنك الدابة)، وبيّن أنها سُمّيت بذلك لأنها تمنع الدابة من العدو الشديد وتكبح جماحها. و"الحكمة" مشتقة من هذا المعنى، لأنها تمنع صاحبها من الجهل وتهديه إلى الصواب.

يقول ابن فارس: "الحاء والكاف والميم، أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحُكّام، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها... وأحكمته: إذا أخذت على يديه" (٥) (ابن الفارس، ١٩٧٩، المجلد ٢، ص-٩١).

يقول ابن فارس: (ح، ك، م) أصل لغوي واحد معناه المنع أو الردع. وأول ما اشتق منه لفظة "الحكم" بمعنى منع الظلم. وسُمّي لجام الدابة "حكمة" لأنه يمنعها (من الانطلاق بلا لجام)... ويُقال "أحكمته" أي أخذت على يديه (منعته من التصرف).

المعنى الاصطلاحي

اصطلاحاً، الحكمة هي المعرفة القائمة على صحة العلم والعمل. وقد بيّن المصطلحي الشهير سيد شريف الجرجاني في كتابه "التعريفات" الجانب العلمي والعملية للحكمة بأسلوب بالغ الجمال: "الحكمة: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بموجبها" (٦) (الجرجاني، ١٤٠٣ هـ، ص ٩٥).

يعنى الحكمة هي: معرفة حقائق الأشياء كما هي عليه فعلاً، ثم العمل وفقاً لتلك المعرفة. ويُعرف ابن القيم الجوزية الحكمة اصطلاحاً بأنها خلاصة العقل والدين والعلم: "الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي" (٧) (ابن القيم الجوزية، ١٩٩٦، المجلد ٢، ص ٤٤٨).

يراد بهذا التعريف ان الحكمة هي أن تفعل ما ينبغي فعله، بالطريقة التي ينبغي أن تُفعل بها، في الوقت الذي ينبغي أن تُفعل فيه.

وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة البقرة: 269).

بعض أقوال الإمام علي بالحكمة

لاشك فيه ان كلام الإمام علي كله حكمة. لا يمكن لنا ان نذكر كل كلام الامام هنا بل نبين الاقتباسات بمناسبة العنوان، فمن أشهر أقواله:

"العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال" (٨) (الشريف الرضي، ١٩٨٠، الحكمة ١٤٧، ص ٤٩٦).

وهذا القول من أعلى نماذج الحكمة، حيث بيّن بأسلوب بليغ للغاية الفرق بين العلم والمال- العلم خير من المال، فالعلم يحميك وأنت تحمي المال-

وقول آخر مشهور تتألاً فيه حكمة الإمام علي:

”قيمة كل امرئ ما يحسنه“ (٩) (الشريف الرضي ، ١٩٨٠ ، الحكمة ٨١ ، ص ٤٨٢)-

الموضوعات التي أفاض فيها الإمام علي من حكمته- على الرغم من أن كلام الإمام علي الحكيم يشمل موضوعات عديدة، فإن أبرز العناوين التي حاول من خلالها أن يُفهم الناس ما يلي:

التوحيد: يحتل كلام الإمام علي مكانة مركزية في إيصال معرفة ذات الله تعالى وصفاته إلى الناس، وقد أوضح من خلاله لعباد الله تعالى ”بأسلوب حكيم“ حقيقة التوحيد وما ينبغي أن يُعتقد في ذات الله وصفاته. العدل: بيّن الإمام علي أن العدل هو النظام الأساسي للكون، وأوضح بأسلوب حكيم أن العدل هو وضع كل شيء في موضعه الصحيح، مما يُحقّق السلام والمساواة في المجتمع، ويحفظ حقوق المظلومين، ويُهيئ ظلم الظالمين.

التقوى: كلام الإمام علي في الخوف من الله والتقوى وضبط النفس يُمثّل دستوراً عالياً لتزكية الروح الإنسانية. فقد أوضح بخطبه الحكيمة أن التقوى هي التي تنجّي الإنسان من أوساخ المعاصي، وتحرّره من عبودية الشهوات الدنيوية، وتدله على طريق النجاح الحقيقي.

الآخرة: كلام الإمام علي في إحياء ذكر الموت والآخرة هو رسالة مؤثرة تشقّ حُجُب الغفلة. فقد هدى عباد الله بفصاحة بالغة إلى أن هذه الدنيا منزل عابر وموضع عمل، وأن على الإنسان أن يجمع زاد الخير استعداداً لسفره الأبدي (الآخرة).

الزهد

المعنى اللغوي للزهد

الزهد في اللغة يعني الإعراض عن الشيء، واحتقاره، وعدم الرغبة فيه. وهو ضد ”الرغبة“ (الشوق والرغبة). وقد كتب ابن منظور في ”لسان العرب“ عند تعريفه الزهد:

”الزهد في الدنيا: ليس بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكنه خروج الدنيا من قلبك... وزهد في الشيء زهداً وزهادة: رغب عنه وتركه، وهو ضد الرغبة“ (١٠) (ابن المنظور، ٢٠٠٤ ، المجلد ٣ ، ص ١٩٨)-

المفهوم: ان الزهد في الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، بل معناه الحقيقي أن تخرج الدنيا من قلبك... وحين يُقال إنه زهد في شيء ما، فمعناه أنه أعرض عنه وتركه، وهو ضد الرغبة-

المعنى الاصطلاحي للزهد

اصطلاحاً، الزهد هو تنقية القلب من محبة اللذات الفانية والزخارف الدنيوية والمال والثروة، والتعلُّق بدلاً من ذلك بالنعم الدائمة في الآخرة. والزهد لا يعني الفقر، بل يعني ألا يكون في القلب طمعٌ في المال حتى لو كان المال موجوداً.

مفهوم الزهد عند الإمام أحمد بن حنبل

قسّم إمام الحديث والفقهاء الكبير أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١ هـ) الزهد إلى ثلاث درجات: ”الزهد على ثلاثة وجوه: الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين“ (١١) (الشيباني، ١٩٨٣، ص ٤٥).

المفهوم: يوضح الامام الشيباني ان الزهد ثلاث مراتب: الأولى: ترك الحرام، وهو زهد عامة الناس. الثانية: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد خاصة الناس. الثالثة: ترك كل ما يشغل عن ذكر الله، وهو أعلى مراتب الزهد عند العارفين-

مفهوم الزهد عند الإمام علي

قدّم الإمام علي تعريفاً شاملاً للزهد:

” الزهد كله بين كلمتين من القرآن: قال الله سبحانه: لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه“ (١٢) (الشريف الرضى، ١٩٨٠، الحكمة ٤٣٩، ص ٥٥٣)-

مفهوم كلام الإمام علي: الزهد كله يكمن في آية من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. فمن لم يحزن على ما فاته ولم يفرح بما آتاه، فقد استوعب الزهد من جانبيه. وفي موضع آخر، عرّف الإمام علي الزاهد فقال:

”الزاهد في الدنيا من لم يغلب الحرام صبره، ولم يشغل الحلال شكره“ (١٣) (الشريف الرضى، ١٩٨٠، الحكمة ١١، ص ٤٧٠)-

أوضح الإمام علي في هذه الجملة الواحدة طريق الزهد العملي السهل. فقال: إن الإنسان يمرُّ في حياته بمواقف كثيرة تضطره إلى شدة أو فقر أو بؤس. وفي تلك اللحظات يوسوس له الشيطان قائلاً: ”اسلك طريق الحرام (كالرشوة أو السرقة أو الخيانة) ليُحلَّ مشكلتك“. والزاهد هو الذي لا يترك الصبر في تلك اللحظة العصبية، بل تكون جدران صبره صلبةً إلى درجة أن لا يغلب لذّة الحرام على صبره. فيصبر على الجوع ولا يمدّ يده إلى الحرام.

وكذلك قال: حين يأتي الإنسان مأل كثير ونعم وفيرة من مال وعزة وأولاد، فإن أكثر الناس ينشغلون ببريق تلك النعم انشغالاً يجعلهم ينسون مُنعمها (الله تعالى). يكسبون من الحلال لكنهم يغفلون في هوسهم. والزاهد هو الذي لا تُشغله كثرة المال الحلال عن شكر الله وذكره. ينعم لكنه لا يصبح عبداً للنعم. يتذكر دائماً أن كل شيء من عند الله، فلا يقع في الغرور أو الغفلة.

أهداف الزهد عند الإمام علي وعلاقته بالدنيا

إن الهدف الأسمى للزهد عند الإمام علي هو تحرير الإنسان من عبودية الماديات، وبلوغ الكرامة الإنسانية الحقيقية وعبادة الله الخالصة. فحين يخلو القلب من الطمع في المال والثروة والمنصب، يصبح الإنسان حراً شجاعاً في قراراته. ذلك أن الزهد يُنقذ الإنسان من قيود الشهوات النفسية. ومن كان قلبه حراً، فهو وحده القادر على نصرته الحق والصدق في المجتمع.

ومن أهم أهداف الزهد عند الامام علي أن يستخدم الإنسان الدنيا لا أن يكون أسيرها. فالدنيا أداة يُقطع بها سفر الآخرة. وقد سمّاها الإمام علي ”منزل المسافر“ و”سوق أولياء الله“، حيث يُكتسب منها الخير ثم يُمضي الإنسان في طريقه.

كما جاء في القول المأثور: ”كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك“ (١٤) (ابن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٢، المجلد ١، ص ٣١٢).

المفهوم: عيش في الدنيا بجسدك، واعمل وتحمل المسؤوليات، لكن اجعل قلبك متعلقاً بالآخرة.

الموعظة

المعنى اللغوي للموعظة

المادة الأساسية لكلمة ”موعظة“ في اللغة العربية هي (و، ع، ظ). ولغوياً، تعني: قولاً يتضمن الخير والصلاح، فيُلَيِّن القلب ويجعل صاحبه يكف عن الشر.

وقد بيّن ابن منظور المعنى اللغوي للموعظة في ”لسان العرب“ عند عرضه للمادة (و، ع، ظ):

”الوعظ: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. والوعظ والموعظة بمعنى واحد. تقول: وعظت الرجل أعظه وعظاً وموعظة، إذا ذكرته بما كان يرق له قلبه من الثواب والعقاب“ (١٥) (ابن منظور، ٢٠٠٤، المجلد ١٥، ص ٣٤٣).

المفهوم: الوعظ هو تذكير الإنسان بالخير بما يُلَيِّن قلبه. والوعظ والموعظة بمعنى واحد. يُقال: وعظت الرجل أعظه وعظاً وموعظة، أي ذكرته بما يُلَيِّن قلبه من الثواب والعقاب-

المعنى الاصطلاحي للموعظة

اصطلاحاً، الموعظة هي البيان الحكيم الهادف إلى الإصلاح الأخلاقي والتنبيه، الذي يُطمئن العقل ويؤثر مباشرة في باطن الإنسان وقلبه. وقد سمّاها القرآن الكريم ”الموعظة الحسنة“ (أحسن نصيحة).

ويُقَدِّمُ إمام مصطلحات القرآن الكبير أبو القاسم الراغب الأصفهاني تعريفاً جامعاً للموعظة اصطلاحاً: ”الوعظ: زجر مقترن بتخويف، وهو كما قال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب“ (١٦) (الراغب الاصفهاني، ٢٠٠٩، ص ٥٢٨).

المفهوم: الوعظ (أو الموعظة) هو زجرٌ يقترن بالتخويف، وهو كما قال الخليل: تذكيرٌ بالخير بما يُليِّن القلب. ويُيِّن المفسِّر والفقيه الشهير الماوردي الروح الاصطلاحية للموعظة من خلال تعريف تفسيري: ”الموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، لتلين له القلوب القاسية“ (١٧) (الماوردي، ١٩٩٢، المجلد ٣، ص ٢١٠).

أي الموعظة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقترن بالترغيب (التشويق) والترهيب (التخويف)، لكي تلين به القلوب القاسية.

مكانة الموعظة عند الإمام علي

إن الموعظة تحتل عند الإمام علي مكانة بالغة الأهمية، فقد كانت من أعظم ما أُسند إليه من رسالة، إذ جعلها سلاحاً لإقامة الناس على الصراط المستقيم. وقد بلغت الموعظة عنده منزلة أن جعلها ”حياة القلب“، كما أوصى أولاده قائلاً:

”أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهد، وقوّه باليقين“ (١٨) (الشريف الرضي، ٢٠٠٤، الرسائل، رسالة ٣١، ص ٣٩٢).

أي قال الامام لاولده موصيا ايها الولد! أحي قلبك بالموعظة (النصيحة)، وأمّث شهوات نفسك بالزهد، وقوّه باليقين.

خطب الموعظة وخصائصها في كلام الإمام علي

تشتهر خطب الإمام علي الموعظية بتأثيرها وعمقها وبلاغتها. ومن أشهر أقواله:

”الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا“ (١٩) (الشريف الرضي، ١٩٨٠، باب الحكم المنسوبه، ص ٥٥٩).

هذه الجملة الموجزة من أعلى نماذج الموعظة، فهي تكشف حقيقة الحياة والموت بأسلوب بالغ التأثير.

وتتضمّن موعظة الإمام علي عدة أساليب بلاغية، منها:

التنبيه: أي التحذير والإنذار، وهو روح موعظة الإمام علي، حيث يُنبّه الإنسان الغافل برسالة نقيّة. فقد حذّر الناس من فناء الدنيا، وسرعة مرور الوقت، والموت المفاجئ، ووجّههم إلى التوبة والإصلاح.

الترغيب والترهيب: التشويق إلى الخير والتحذير من الشر، وهو أسلوب بلاغي متوازن يترك أثراً عميقاً في القلوب. فالإمام علي يذكر الأعمال الصالحة ونعيم الجنة ورحمة الله ليُشَوِّق، ويذكر عواقب الذنوب وعذاب الآخرة وفضيحتها ليُرهب ويمنع.

التشبيه والتمثيل: لجعل نصيحته مفهومة ومؤثرة، استخدم الإمام علي الأمثلة والتشبيهات. فشبّه الدنيا بالظلال السريع الزوال، والناقة التي تُرَضَع ثم ترفض، وشبكة العنكبوت، ليبيّن الحقائق الروحية المعقدة بأسلوب سهل وحكيم.

وقد تبين من هذا العرض للمفاهيم الثلاثة (الحكمة والزهد والموعظة) لغوياً واصطلاحاً، مع تقديم نماذج من كلام الإمام علي، أن زهد الإمام علي كان متوازناً، وحكمته عميقة وشاملة، وموعظته مؤثرة وبليلة.

تقبُّل أدباء العصر العباسي لكلام الإمام علي وقبولهم له

تقبُّل الجاحظ لكلام الإمام علي في ”البيان والتبيين“

سبق أن ذُكر أن الجاحظ إمام النثر العربي، وأن كتابه ”البيان والتبيين“ المصدر الأساسي للبلاغة. وكان الجاحظ معترفاً بفصاحة الإمام علي، وقَدَّم كلامه بوصفه أعلى نموذج. ويكفي أن نقل هذا القول المشهور للإمام علي الذي يرويهِ الجاحظ ويُعلِّق عليه، ليتبيّن مدى تأثر الجاحظ بكلام الإمام علي ومكانته عنده: ”قيمة كل امرئ ما يحسنه، وهي كلمة لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هي لكفت“ (٢٠) (الجاحظ، ١٩٩٨، المجلد ١، ص ٨٣).

يثبت من هذا الكلام ان قيمة كل إنسان هي ما يُحسِنه، ويثبت قدر كلام الامام على عند الجاحظ عندما قال هذه الجملة ” لو لم يكن في هذا الكتاب سواها لكفت“ (أي لكانت كافية لإثبات قيمة الكتاب بأسره).

تقبُّل ابن القتيبة لادينوري لكلام الإمام علي في كتابه ”أدب الكاتب“

سبق أن أُشير إلى أن ابن قتيبة قدّم في كتابه كلمات الإمام علي بوصفها نماذج لتربية الكتاب. وكان هدفه أن يتعلّم الكتاب أعلى نماذج الفصاحة والبلاغة. وقد كتب:

”ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف الخطيب: البرق الخاطف، والودق الخاطف“ (٢١) (ابن القتيبة الدينوري، ١٩٨٥، ص ١١٢).

من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف الخطيب: البرق الخاطف، والمطر الغزير-

وقد استخدم ابن قتيبة هذا الكلام في ”أدب الكاتب“ لتوضيح فصاحة اللفظ ومعاني الألفاظ النادرة في اللغة العربية.

كما نقل ابن قتيبة في كتابه الآخر "عيون الأخبار" وهو مجموعته الأدبية الكبرى حكماً ومواعظ كثيرة للإمام علي، ومن أبرزها في باب الزهد:

"ما خير بجزير بعده النار، وما شر بشر بعده الجنة" (٢٢) (ابن القتيبة، ١٩٩٦، المجلد ٢، ص ٣٢٠)

ليست خيراً خيراً الذي تكون بعده نار، وليس شراً شراً الذي تكون بعده جنة.

تقبّل الجاحظ لكلام الإمام علي في كتابه "الكامل" نقل المبرّد في كتابه "الكامل" خطب الإمام علي وحكمه. وكتاب المبرّد موسوعة واسعة في الأدب والنحو والأخبار، وقد حظي كلام الإمام علي فيه بمكانة بارزة.

ونقل المبرّد هذا القول المشهور للإمام علي في الزهد، الذي يُظهر إعراضه عن الدنيا:

"يا دنيا يا دنيا، إليك عني، أبي تعرضت؟ أم إلي تشوقت؟ ... قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها" (٢٣) (المبرّد، ١٩٩٧، المجلد ١، ص ٢٨).

قال الامام مخاطباً للدنيا، أيتها الدنيا! ابتعدي عني. أنت تتعرضين لي؟ أم أنت تشوقين إلي؟ ... قد طلقتك ثلاثاً اي قد تركتك تركاً كاملاً الان لا يمكن الرجوع فيها".

تقبّل ابي على القالي لكلام الإمام علي في كتابه "النوادر/الأمالي" جمع أبو علي القالي في كتابه كلام الإمام علي النادر والنفيس، لا سيما ما يتعلق بالحكمة والموعظة. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه نشر كلام الإمام علي حتى وصل إلى الأندلس (إسبانيا).

ونقل القالي هذا القول النصيحي للإمام علي:

"رحم الله امرأً عرف قدره، ولم يتعد طوره" (٢٤) (القالي، ١٩٧٨، المجلد ١، ص ١٥٦).

يدع الامام بهذا الجملة الرجل الذي يعرف نفسه قدره فيرحمه الله عليه لانه حصل معرفة نفسه ، ولم يتجاوز حدّه.

ويتضح من هذا القسم أن المصادر الأدبية الأربعة قد تبنت كلام الإمام علي بوصفه مصدراً أساسياً: فالجاحظ من حيث الفصاحة، وابن قتيبة من حيث التربية الأدبية، والمبرّد من حيث الأخبار والأدب، والقالي من حيث المادة الأدبية النادرة.

الدراسة الموضوعية: التحليل التفصيلي

إن الكتب الأربعة الأساسية في تاريخ الأدب والتدوين الأدبي في العصر العباسي، وهي: البيان والتبيين، أدب الكاتب، الكامل في اللغة والأدب، والنوادر، لم تُدرج كلام الإمام علي بن أبي طالب فيها لمجرد التبرُّك، بل اعترفت به مصدراً أساسياً للفصاحة والبلاغة والأخلاق واللغة والتاريخ. والدراسة الموضوعية هي المنهج

العلمي الذي نختبر من خلاله أفكار أي شخصية على مختلف العلوم. وكلام الإمام علي يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية، غير أن هذا البحث يقدّم، في ضوء الكتب الأربعة، دراسة تفصيلية ومقارنة لثلاثة محاور أساسية: الحكمة، والزهد، والموعظة.

التحليل الموضوعي للحكمة

الحكمة، التي يقوم أساسها اللغوي على منع الظلم والجهل والضرر، هي أبرز جوانب كلام الإمام علي. وفي المصادر العباسية الأربعة تتجلّى أبعاداً علمية ولغوية وفكرية متعددة للحكمة، حيث استدلل كل أديب من منهجه العلمي (Methodology) الخاص.

فعمرو بن بحر الجاحظ يربط في كتابه "البيان والتبيين" حكمة الإمام علي مباشرة بـ "أعلى معيار للبلاغة والبيان". وعند الجاحظ، الحكمة ليست مجرد فلسفة، بل هي ما يحمل أثراً علمياً كبيراً في أقلّ الألفاظ فصاحةً. وهو يعتبر قصار الحكم (الجمل الموجزة) للإمام علي إمام النثر العربي.

أما ابن قتيبة الدينوري، فيقدّم الحكمة في كتابه "أدب الكاتب" من منظور التربية الإنسانية والأدبية. فالحكمة عنده دستور عملي يُرّي الكتّاب والحكام والعلماء أخلاقياً. ولذلك يعرض أقوال الإمام علي السياسية والاجتماعية والأخلاقية بوصفها توجيهات رئاسية.

وأبو العباس المبرّد لا ينظر إلى كلام الإمام علي الحكيم بوصفه مجرد جملة، بل يربطه بسياق تاريخي محدد، ونقاشات لغوية، ووقائع. ويُبيّن المبرّد كيف كان كلام الإمام علي الحكيم يهدي النفوس البشرية.

وأبو علي القالي يقدّم كلام الإمام علي الحكيم في كتابه "النوادر" بوصفه ذخيرة لغوية (غريب اللغة والألفاظ النادرة). وميل القالي أكثر نحو البحث اللغوي، لذلك يختار من جمل الإمام علي تلك التي بلغت أعلى مراتب الفصاحة حيث يُستخدم صحيح المصطلحات النادرة في اللغة العربية.

ويتبيّن من الدراسة المشتركة للكتب الأربعة أن حكمة الإمام علي تقوم على أربعة أعمدة رئيسية:

أولاً: يتجلّى في كلامه الحكيم فضل العلم وأهميته، إذ يُقدّم العلم على المال، لأن العلم يحفظ الإنسان بينما المال يحتاج إلى حفظ.

ثانياً: يُبيّن كلامه أن العقل هو رسول الباطن الإنساني، وأن من خلاله يُتخذ القرار الصحيح (وضع الشيء في موضعه).

ثالثاً: يُرشد كلامه المشحون بالحكمة إلى ضبط النفس في الشدائد حتى لا يميل الإنسان إلى الحرام.

رابعاً: تُثير حكمته الرغبة في الآخرة، التي تُخرج الإنسان من عالم الفناء وتُعرّفه بحقيقة الخلود.

التحليل الموضوعي للزهد

الزهد هو روح التصوف الإسلامي والأخلاق، غير أن صورة الزهد التي تظهر في هذه الروائع الأدبية العباسية من خلال كلام الإمام علي ليست صورةً رهبانية (هروب من الدنيا)، بل هي فتحٌ كامل على النفس. ويحتوي كتاب المبرِّد "الكامل في اللغة والأدب" على أغنى مادة وأكثرها تفصيلاً حول موضوع الزهد. فقد نقل المبرِّد بالتفصيل وقائع إعراض الإمام علي عن الدنيا، ولباسه البسيط، وطعامه الزهيد، وخوفه من الله عند توزيع غنائم الحرب. ونقل المبرِّد قولَ الإمام علي الشهير الذي يُخاطب فيه الدنيا: "أيتها الدنيا! اذهبي فاخذعي غيري"-

وفي كتاب "أدب الكاتب"، يُعلِّم ابن قتيبة الكتاب أن يتضمَّن أسلوبهم، حين يكتبون الرسائل والفرامين الرسمية، روح فناء الدنيا والزهد. وفي هذا السياق، يعرض خطب الإمام علي ووصاياه بوصفها أعلى نموذج جامع بين البلاغة والزهد، وهي التي كتبها الإمام لعمَّاله وولاته في عهد حكمه. وقد أوضح ابن قتيبة أن كلام الإمام علي هو المصدر الوحيد الذي يلتقي فيه أعلى فصاحة الكتابة مع باطن الزهد.

أما الجاحظ في "البيان والتبيين"، فيؤجِّه الانتباه إلى الهيبة الأدبية لخطب الزهد وقوة جملها. وأما القالي في "النوادر"، فيروي الكلمات الروحية المتعلقة بالزهد بسند موثوق من الرواة. ويتبيَّن من التحليل الموضوعي للكتب الأربعة أن مفهوم الزهد عند الإمام علي يقوم على نقطتين أساسيتين: الأولى: أن يكون القلب خالياً تماماً من حب المادة وبريق المال. الثانية: ألا يتغيَّر المعيار الأخلاقي بوجود النعم أو غيابها، وأن يظلَّ الإنسان دائماً ناظراً إلى سفر الآخرة الأبدية.

التحليل الموضوعي للموعظة

الغاية من الموعظة (تليين القلب بالنصيحة) هي إيقاظ الضمائر النائمة. وكان لموعظة الإمام علي من التأثير ما يجعل القلوب الصلبة تبكي. وفي المصادر العباسية الأربعة تحتلُّ مواعظ مولا علي وزناً علمياً كبيراً. وفي باب الموعظة، يتقدَّم كلُّ من أبي علي القالي في «النوادر» والمبرِّد في «الكامل». فقد نقل كلاهما الخطب الطويلة التي كان الإمام يُلقِّيها يوم الجمعة أو بعد المعارك. ويتمحور المحور المركزي لهذه المواعظ حول تدكُّر الموت، ومشهد ليلة القبر الأولى، والخوف من حساب يوم القيامة. أما الجاحظ وابن قتيبة، فقد أفردا في كتابيهما مكاناً لمواعظ الإمام علي التي تعالج الأمراض الداخلية للنفس (كالحسد والكبر والطمع والكذب). وموعظة الإمام علي تُقدِّم للإنسان مرآةً ينظر فيها إلى نفسه.

الخصائص الأسلوبية (Stylistic Features) في كلام الامام علي

حين ندرس كلام الإمام علي من منظور علم الأسلوب (Stylistics) ، نجد فيه خصائص لغوية فريدة غيّرت مسار النثر العباسي بأسره. ومن أبرز هذه الخصائص:

الإيجاز (Concision)

الإيجاز يعني أن تكون الألفاظ قليلة لكن معانيها واسعة كالبحر (الإيجاز روح البلاغة). وتبلغ هذه الخصوصية ذروتها في حكم الإمام علي وقصار الحكم. وقد تأثر الجاحظ، عظيم نثر العصر العباسي وناقده متأثراً بالغاً بهذا الإيجاز في كتابه "البيان والتبيين"، حيث كتب أن جمل مولا علي القصيرة تحتوي على حقائق الكون كلها.

وفي تعليقه على قول الإمام علي «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، يقول الجاحظ إن هذه الجملة لو كانت وحدها في الكتاب لكفت دليلاً على التفوق العلمي للمجتمع العباسي بأسره. وقد اتخذ الأدباء العباسيون هذا الأسلوب الإيجازي أساساً لتوقيعاتهم (المراسيم الرسمية) ورسائلهم.

التوازن والتناسق (Balance and Harmony)

جمل خطب الإمام علي وفقراته في توازن تام من حيث الوزن والهيبة والموسيقى. فحين تكتمل جملة فصيحة، تأتي الجملة التالية بوزنها المتناسق، فيترك أثراً نفسياً عميقاً في أذن السامع. وقد جعل مترسلو العصر العباسي (كُتّاب الرسائل) هذا التوازن جزءاً لا يتجزأ من نثرهم الرسمي والديواني.

السجع (Rhymed Prose)

جعل الكلام مقفياً بلا تكلف يُسمى "سجعا". وعند الإمام علي، السجع ليس بناءً اصطناعياً، بل ينبع بشكل طبيعي من سلاسة أسلوبه. وقد طوّر أدباء العصر العباسي (كابن المقفّع وعبد الحميد الكاتب) هذا الأسلوب، حتى غدا أساساً أدب المقامات لاحقاً.

الجانب البياني والخطابي

يقوم جزء كبير من كلام الإمام علي على الخطابة (Oratory) ، التي تُستخدم لإقناع الجمهور الكبير وفرض الرأي وإلزام الخصم بالحجة. وفيها ثلاثة فنون بلغت ذروتها:

الخطابة (Oratory)

حين كان أمير المؤمنين يقف على المنبر، كانت كلماته تندفق كالسيل الجارف. وخطبه تجمع بين الأمر والنصيحة والتاريخ والتوجيهات السياسية. وحين بلغ الخطابة النثرية (السياسية والدينية) ذروتها في العصر العباسي، اتخذ القادة الدينيون والسياسيون خطب نصح البلاغة نموذجاً لخطبهم.

الاستدلال (Argumentation)

لم يكن الإمام علي يطرح أي دعوى دون دليل عقلي أو نقلي. فكان يستدل بآيات القرآن الكريم، وتجارب العقل البشري، والوقائع التاريخية، استدلالاً لا يُخطئ حتى يُسكت أكبر خصومه.

الإقناع (Persuasion)

الإقناع هو إرضاء عقل السامع وقلبه معاً حتى يتقبَّل الرأي بصدق. وقد تبنَّى أدباء العصر العباسي لا سيما الجاحظ وابن قتيبة هذا الجانب الاستدلالي والإقناعي لأمير المؤمنين وجعلوه مبدأً أساسياً في نثرهم، خاصة في مباحث علم الكلام.

الجوانب اللغوية والبلاغية (Lexical and Rhetorical Dimensions)

إن قواعد البيان والبديع والمعاني التي وُضعت لاحقاً في علم البلاغة، كانت كلها موجودة عملياً في كلام الإمام علي من قبل. فقد استخدم التشبيه والاستعارة والكناية استخداماً بليغاً أضفى على اللغة العربية سعة عظيمة:

نموذج الاستعارة البليغة

من أجمل الأمثلة وأشهرها على الاستعارة (Metaphor) قول الإمام علي حين يصف حقيقة الدنيا: إن الدنيا حاولت أن تميل إليه، لكنه تركها كما يترك الرجل زوجته طلاقاً بائناً.

”يا دنيا غرّيتي غيري، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك“ (٢٥) (الشريف الرضي، ١٩٨٠، الحكمة ٧٧، ص ٤٨٠).

وفي هذه العبارة، جعلت الدنيا شخصاً مجسماً، واستُخدم تعبير ”تطليقها ثلاثاً“، وهو استعارة بلاغية من أعلى شواهد الاستعارة في البلاغة العربية. وقد اعتبر ابن قتيبة في كتابه ”أدب الكاتب“ هذا النوع من الاستعارات سلاحاً فنياً لازماً لبناء عقل الأديب.

التشبيه والكناية (Simile and Metonymy)

كان الإمام علي يستخدم تشبيهات لا حصر لها لتوضيح الحقائق المعنوية، فتتطبع في الذهن مباشرة. فتشبيهه الدنيا بـ”شبكة العنكبوت“، أو ”جيفة الخنزير الميت“، أو ”ظل المسافر السريع“، يُحوِّل الحقائق الروحية المعقدة إلى صور حسية ملموسة. وقد استخدم نثَّارو العصر العباسي هذه الجوانب البلاغية استخداماً واسعاً في كتاباتهم الإبداعية.

الأثر الثقافي والحضاري

لم يقتصر كلام الإمام علي على الكتب فحسب، بل أدَّى دوراً حياً في التشكيل الأخلاقي والفكري والثقافي للمجتمع العباسي:

الدليل الأخلاقي (Moral Guide)

حين اتسعت الفتوحات وتكاثرت الأموال في العصر العباسي، انتشر الترف والغفلة والطمع المادي. وفي تلك الفترة، غدت الحكم القائمة على الزهد والموعظة من كلام الإمام علي مصدر إصلاح في حياة الناس. فكانت أقوال مولا علي تُقرأ وتُسمع في المساجد والمجالس العلمية والأسواق لتربية الناس أخلاقياً. جزء من أمثال العرب

كثير من مجل الإمام علي الموجزة اتخذت شكل "الأمثال" (Proverbs) في العصر العباسي. فكان عامة الناس يستشهدون بها في حديثهم اليومي، ويعتمدها الحكام في قراراتهم بوصفها مرجعاً (Authority). وهذا يدل على أن كلام الإمام علي كان متغلغلاً في روح الحضارة العباسية.

خلاصة الكلام ان من هذا التحليل الأدبي والفني التفصيلي يتبين أن كلام الإمام علي ليس مجرد مركز عقيدي ديني، بل هو الأساس الفني للنثر العربي. فمن الخصائص الأسلوبية إلى الآثار الثقافية، انتقلت الخصائص الفنية لكلام أمير المؤمنين (كالإيجاز والتوازن والسجع والاستعارة البليغة والاستدلال) إلى عروق الأدباء العباسيين كالدلم.

إن الفصاحة والجزالة والتأثير الذي نراه في نثر عظام النقاد كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد هو في الحقيقة نبع من بحر بلاغة الإمام علي. ولذلك يصح القول إن كلام علي ﷺ أدى دوراً أساسياً وتاريخياً في رفع مستوى الأدب العباسي وجعله عصرراً ذهبياً.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب ومنهجيات:

أولاً: يُبرز هذا البحث الرابطة بين كلام الإمام علي والأدب العباسي على أساس علمي رصين.

ثانياً: يقدم البحث دراسة تحليلية لأربعة مصادر أساسية، وهو ما يُمثّل عملاً علمياً فريداً من نوعه.

ثالثاً: يعرض البحث المادة العلمية والأدبية بأسلوب منظم من خلال المنهج الموضوعي (Thematic Approach).

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما مفاهيم الحكمة والزهد والموعظة في كلام الإمام علي؟
- 2- لماذا اختار أدباء العصر العباسي هذه الكلمات من كلام الإمام علي، وبأي صورة استخدموها؟
- 3- ما الخصائص الموضوعية والفنية لهذه الموضوعات في الكتب الأربعة؟

منهج البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الموضوعي (Thematic Approach) والمنهج التحليلي (Analytical Approach)، مع الاستعانة بالمنهج المقارن (Comparative Approach) عند الحاجة، وذلك بهدف إجراء تحليلٍ معمّقٍ للمواد المكتوبة والنصوص والتوصُّل إلى نتائج دقيقة وموثوقة. تقوم هذه الدراسة على أنّ أدباء العصر العباسي وعلماءه لم يقتصرُوا على استخدام كلام حضرة عليّ كرم الله وجهه لمجرّد التبرُّك الديني، بل اتَّخذوه مصدراً أدبياً وفكرياً متفرداً في مجالات الحكمة والزهد والموعظة. وإنّ النثر العباسي لا يكتمل بدون كلام أمير المؤمنين عليه السلام، الذي غدا في مجموعاتهم الأدبية معياراً سامياً للبلاغة والحجاج والتربية.

وقد حُدِّد نطاق هذه الدراسة (Scope) بضوابط واضحة من عدة جوانب. فمن الناحية الزمنية، تعلقّ بالعصر العباسي (١٣٢هـ - ٦٥٦هـ)، ولا سيّما عصره الذهبيّ الأوّل والثاني (القرنان الثاني والثالث الهجريان). أمّا من الناحية الجغرافية، فإنّها تنحصر في رقعة الحضارة الإسلامية، وبخاصّة المراكز العلمية في البصرة والكوفة وبغداد. ومن حيث الموضوع، اقتصرت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسية: الحكمة، والزهد، والموعظة (النصيحة). وأمّا من حيث المصادر، فقد ارتكزت على أربعة كتبٍ بعينها: "البيان والتبيين"، و"أدب الكاتب"، و"الكامل"، و"النوادر"، وذلك لإضفاء مزيدٍ من الرصانة العلمية والموضوعية على البحث.

نتائج البحث (الخاتمة)

من هذا التحليل الموضوعي التفصيلي تتجلّى النتائج البحثية التالية:

- ١- اختلاف المنهج وتوافق الغاية: اختار مصنّفو الكتب الأربعة كلام الإمام علي وفق أذواقهم وأغراضهم العلمية (بلاغة، لغة، تاريخ، أخلاق)، غير أن المدّش أن روح أفكار الإمام علي تظلّ واحدة عند الجميع.
- ٢- خصوصية المبرّد: يتبيّن أن كتاب "الكامل" للمبرّد هو أغنى مصدر وأشمله من حيث النصوص العملية والتاريخية والتفصيلية المتعلقة بالزهد والموعظة.
- ٣- تفرّد الجاحظ: يحتل كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ مكانة فريدة لا مثيل لها في العصر العباسي كله من حيث فحص الأسرار البلاغية لكلام الإمام علي، وآثاره النفسية في الفصاحة، ومعاييره اللغوية.
- ٤- النتيجة الإجمالية: تُثبت هذه الدراسة الموضوعية أن الحركة الأدبية الذهبية في العصر العباسي أدّت دوراً تاريخياً وأساسياً في حفظ ذخيرة حكمة الإمام علي وزهده وموعظته، وأن تاريخ الأدب العربي يظلّ ناقصاً بدون هذا الكلام.

- ٥- كان كلام الإمام علي مصدراً أدبياً وفكرياً بالغ الأهمية للأدب العباسي، لا سيما فيما يتعلق بالحكمة والزهد والموعظة.
- ٦- قدّمت المصادر الأدبية الأربعة كلامَ الإمام علي وفق أغراضها الخاصة.
- ٧- كان زهد الإمام علي زهداً متوازناً لا رهبانية.
- ٨- انتقلت الخصائص البلاغية لكلام الإمام علي إلى النثر العباسي.
- يُمثّل كلام الإمام علي بن أبي طالب أعلى معيار للفصاحة والبلاغة في تاريخ اللغة والأدب العربيين، وهو المعيار الذي اعترف به خبراء اللغة بأنه ”دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين“. والعصر العباسي (١٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ) حيث يُعدُّ عصرَ تدوين النثر ونهضته الذهبية شهد كبارَ البلغاء والأدباء والنقاد (كالجاحظ وابن قتيبة والمبرِّد) يستفيدون أعظم استفادة من كلام الإمام علي في جوانبه الأدبية والفنية لتجويد نثرهم وإضفاء النضج العلمي عليه. وسنقدّم هنا تحليلاً تفصيلياً للخصائص الأسلوبية والبيانية واللغوية والبلاغية والثقافية لكلام الإمام علي، التي أدّت دوراً أساسياً في التشكيل الفني للنثر العباسي.

الحواشي

القرآن الكريم

سورة البقرة: الآية 269.

سورة الحديد: الآية 23.

الحواشي والمراجع الأخرى

- (1) ابن أبي الحديد، شرح نصح البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1959م، ج1، ص24.
- (2) ضيف، شوقي (1966). تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول. القاهرة: دار المعارف، ص485.
- (3) ابن أبي الحديد (1959). المصدر السابق، ج1، ص24.
- (4) ابن منظور (2004). لسان العرب (مادة: حكم)، ج12، ص140. بيروت: دار صادر.
- (5) ابن فارس (1979). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، ج2، مادة: ح ك م، ص91. بيروت: دار الفكر.
- (6) الجرجاني، علي بن محمد (1403هـ). التعريفات، ص95. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (7) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (1996). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج2، ص448. بيروت: دار الكتاب العربي.
- (8) الشريف الرضي (1980). نصح البلاغة (ضبط نصه صبحي الصالح)، الحكمة رقم147، ص496. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- (9) المصدر نفسه، الحكمة رقم81، ص482.
- (10) ابن منظور، محمد بن مكرم (2004). لسان العرب (مادة: ز ه د)، ج3، ص198. بيروت: دار صادر.
- (11) الشيباني، أحمد بن حنبل (1983). كتاب الزهد (تحقيق محمد جلال شرف)، ص45. بيروت: دار النهضة العربية.
- (12) الشريف الرضي (1980). نصح البلاغة، الحكمة رقم439، ص553. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- (13) المصدر نفسه، الحكمة رقم11 (من قصاص الحكم)، ص470.
- (14) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (2002). عيون الأخبار، ج1، ص312. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (15) ابن منظور، محمد بن مكرم (2004). لسان العرب (مادة: و ع ظ)، ج15، ص343. بيروت: دار صادر.
- (16) الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد (2009). المفردات في غريب القرآن (مادة: و ع ظ)، ص528. بيروت: دار القلم.
- (17) الماوردي، علي بن محمد (1992). النكت والعيون: تفسير الماوردي، ج3، ص210. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (18) الشريف الرضي، محمد بن الحسين (2004). نصح البلاغة (الرسائل، خط رقم31)، ص392. بيروت: دار الهجرة.
- (19) الشريف الرضي (1980). نصح البلاغة، باب الحكم المنسوبة، ص559. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- (20) الجاحظ (1998). البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، ج1، ص83. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- (21) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1985). أدب الكاتب. تحقيق محمد الدالي. ص. 102، بيروت: مؤسسة الرسالة،
- (22) ابن قتيبة (1996). عيون الأخبار، ج2، ص320. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- (23) المبرّد (1997). الكامل في اللغة والأدب (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم)، ج1، ص28. القاهرة: دار الفكر العربي.
- (24) القالي (1978). الأمالي/النوادر، ج1، ص156. بيروت: دار الكتب العلمية.
- (25) الشريف الرضي (1980). نصح البلاغة، الحكمة رقم77، ص480. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

المصادر والمراجع

المصادر الأولية (الماخذ الأصلية)

1. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998م.
2. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. أدب الكاتب. تحقيق محمد الدالي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.
3. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. عيون الأخبار. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1996م.
4. المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد. الكامل في اللغة والأدب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، 1997م.
5. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم. الأمالي (مع ذيل النوادر). بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م.
6. الشريف الرضي، محمد بن الحسين. نصح البلاغة. ضبط نصه صبحي الصالح. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980م.
7. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. شرح نصح البلاغة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1959م.

المصادر الثانوية (الدراسات الحديثة)

8. الشيباني، أحمد بن حنبل. كتاب الزهد (تحقيق محمد جلال شرف)، بيروت: دار النهضة العربية. (1983)
9. ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول. القاهرة: دار المعارف، 1966م.
10. ضيف، شوقي. الفن ومذاهبه في النثر العربي. الطبعة الثالثة عشرة. القاهرة: دار المعارف. [د.ت].
11. عباس، إحسان. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. بيروت: دار الثقافة، 1983م.
12. الماوردي، علي بن محمد. النكت والعيون: تفسير الماوردي، بيروت: دار الكتب العلمية. (1992).
13. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن، بيروت: دار القلم. (2009)
14. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، بيروت: دار صادر (2004).

المصادر الرقمية

15. المكتبة الشاملة (الإصدار الحديث) www.shamela.ws.
16. موقع الوراق للتراث العربي www.alwaraq.net.